سهم في الرقاب

س: حديثنا اليوم عن السهم الخامس من سهام الزكاة، والذي عبرت عنه الآية الكريمة بـ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ ما مفهوم هذا السهم في البداية.

جـ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فهذا السهم من سهام الزكاة، يكشف عن إنسانية الإسلام، واحترامه الشديد لهذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وقد جاء الإسلام والرق منتشر في أرجاء الأرض، حيث يستعبد الإنسان أخاه الإنسان ويعامله معاملة لا تختلف عن معاملة ممتلكاته من العجماوات، بل ربما كانت حقوق العجماوات ومعاملاتها أفضل من معاملة الرقيق. لقد كان الروماني يتلذذ بإقامة حلبة المصارعة بين الأسد والعبد، ويسعد السادة بافتراس الأسد لهذا المسكين، ولم يكن الرومان يفعلون ذلك بممتلكاتهم من العجماوات. في ظل هذه الظروف جاء الإسلام ليحارب هذه الظاهرة، وليقدم من الإجراءات ما يقضي عليها، ويعيد للإنسان كرامته. من هذه الإجراءات تخصيص سهم من سهام الزكاة الثمانية، لينفق على تخليص هؤلاء من ذل الرق والعبودية ويعيدهم إلى الحرية التي خلقهم الله تعالى لها، بيد أن بعض البشر كانوا أعداء لحرية البعض الآخر فمارسوا ضدهم الاسترقاق.

إذا فمفهوم سهم الرقاب أنه جزء من الزكاة ينفق في هذا السبيل، سبيل تحرير الإنسان من ذل العبودية، وإعادته حراً مكرماً.

س: في العصور الحديثة قضى على الرق، فهل يسقط هذا السهم، وتوزع الزكاة على بقية المستحقين؟

جـ: لقد انتهى الرق في صورته القديمة، وبمفهومه التقليدي، أي شخص يمتلك شخصاً، ولكن بالتمعن في مضمون الرق، وهو استغلال شخص لشخص، وتسخيره لمصلحته، نجد الرق لم يزل قائماً، غاية الأمر أنه انتقل من صورة إلى صورة، إن التجارة في النساء والأطفال، تمارس بصورة واسعة اليوم، والأرقام التي تنشرها الصحف عن الفتيات اللواتي يعملن في البغاء قسراً في الدول الأوروبية، أرقام مفزعة ومهينة للبشرية في هذا العصر. أيضاً فإن الرق في العصور التي ألغى فيها قد تحول من رق فردى إلى رق جماعي، حيث تسترق الشعوب جملة وتغتصب من المحتلين لها، الذين يستغلون ثرواتها، ويفرضون التخلف عليها. ومن هنا فالرق لم يزل موجوداً، والكفاح الذي بدأه الإسلام ضده لم يزل موصولاً، وهذا السهم من سهام الزكاة لم يزل قائماً، وينبغي توجيهه إلى ما يستخلص الشعوب من آسريها، ويستنقذ الأفراد من مستغليهم وهاضمي حقوقهم، إن هضم الحقوق، والظلم الذي يقع على الإنسان، نوع من العبودية ينبغي محاربته، ولعل أفضل تعبير عن هذا المعنى قول سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمن رأى أنه يظلم شخصاً، ويمنعه حقه في التفوق، والمعاملة العادلة، قوله له: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». فاستغلال الناس، وهضم حقوقهم، نوع من الاسترقاق والعبودية، وما أكثر هضم الحقوق، وظلم الناس، واستغلالهم في هذه الأيام التي يتشدقون فيها بالحرية. إن هضم حقوق العاملين لدى أرباب الأعمال، وعدم إعطائهم الأجر العادل الذي يكافئ جهودهم في العملية الإنتاجية، نوع من السخرة والعبودية، ومن ثم فإن إنفاق المال في

الإصلاح الاجتماعي، والدفاع عن الحقوق المهضومة، ومحاولة استعادتها من غاصبيها، يعد إنفاقاً في تحرير الرقاب، وتخليصها من الرق المستحدث. إن الشعوب التي تئن تحت وطأة الديون الأجنبية، تعد شعوباً مسترقة، ينبغي تخليصها مما حل بها، فلا مانع من توجيه هذا السهم ليسهم في تخليص الشعوب المدينة من مديونيتها. والتي أوقعها فيها حكام مستبدون، زينت لهم الشعوب الدائنة إيقاع شعوبهم في شرك المديونية الدولية.

س: ما هو الأثر الذي أحدثه هذا السهم في حياة المجتمعات عندما جاء به الإسلام؟

جـ: لقد كان لهذا السهم من الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الشيء الكثير إن سهم ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ كما بينا يتلخص في إخراج مجموعة من البشر من مركز التبعية الاقتصادية، إلى مركز الاستقلال الاقتصادي، فهم في حالة الرق في شبه بطالة مقنعة، لعدم قدرتهم على مزاولة الأنشطة التي يرغبون فيها، والتي ربما يكونون من المبرزين فيها، لو أتيحت لهم الفرصة. فتحرير الرقاب من وجهة النظر الاقتصادية، يضيف وحدات إنتاجية إلى ميدان الإنتاج، وحدات من نوع مختلف عما كانت عليه قبل التحرير، تزاول عملاً مستقلاً، فتضيف إلى الإنتاج القومي بنسبة أكبر وبنوعية أفضل، فكأن تحرير الرقاب تحوير في نوعية العامل إلى المستوى الأفضل، وتلك آثار اقتصادية على جانب كبير من الأهمية في ميدان تحقيق التنمية الاقتصادية.

أما الآثار النفسية، فهي على جانب كبير من الأهمية، حيث يشعر الشخص الذي نال حريته بإنسانيته التي كانت مسلوبة، وبكرامته التي كانت

مهدرة، والشعور النفسي بالإنسانية والكرامة، هو بداية الانطلاق نحو بناء المجتمع وإثراء الحياة فيه، إن نظام الزكاة الإسلامي، يثبت لنا، في كل جزئياته، أنه نظام معجز، كلما تغيرت مواصفات الحياة، وجدنا الإسلام صالحاً لإصلاحها.

والله ولي التوفيق